

أحاديث رمضان ١٤٣٥ - خواطر إيمانية - الدرس (٠٨) : الحديث الشريف (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ.....)

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٤-٠٧-٠٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويته ، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين ، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم ، إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات إلى جنّات القربات .

من عدّ كلامه من عمله فقد نجا :

أيها الأخوة الكرام ، في الحديث الشريف حديث دقيق جداً وأظن أننا جميعاً بحاجة ماسة إليه ، يقول عليه الصلاة والسلام :

((إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ))

[البُخَارِيُّ عن أبي هريرة]

كلمة بكلمة ، والقرآن يقول :



من عدّ كلامه من عمله نجا

﴿ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ ﴾

[سورة إبراهيم: ٢٤-٢٥]

﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾

[سورة إبراهيم: ٢٦]

فمن عدّ كلامه من عمله نجا .

((لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ))

[أحمد عن أنس بن مالك]

لذلك :

((إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ))

[البُخَارِيُّ عن أبي هريرة]

للکلمة أثر كبير جداً :

أخواننا الكرام ، أحياناً هناك حركة ، أو سكتة ، أو إشارة ، أو ملامح وجه تقوم مقام الكلمة



إنسان ذكر لصديقه أنه خطب فلانة ، صديقه ما تكلم ولا كلمة ولكن فعل بيده حركة ما فطلقها، لا يقصد الصديق هذه النتيجة لكن وصلت إلى هذه النتيجة :

((إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ))

[البُخَارِيُّ عن أبي هريرة]

مرة قرأت مقالة بمجلة فيها العبارة التالية : أنت ضعيف لأنك أخلاقي ، وأنت أخلاقي لأنك ضعيف، قنبلة مدمرة هذه الكلمة ، أنت ضعيف لأنك أخلاقي وأنت أخلاقي لأنك ضعيف، هذا منطق الأقوياء الجبابرة ، فهناك كلمة لها أثر كبير جداً ، لكن مثلاً :

((رَبِّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ))

[مسلم عن أبي هريرة]

هذه كلمة تجبر الخواطر :

((رَبِّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ))

[مسلم عن أبي هريرة]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

[سورة الحجرات: ١٣]

احذر لسانك أيها الإنسان لا يلدغك إنه تُعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الشجعان

الإِنسان يتعلم بالنص أو بالأسوة :

الكلمة من العمل ، بكلمة ترمم ما تشنت ، وبكلمة تفرق ما اجتمع فلذلك المؤمن يضبط لسانه ، بيت إسلامي يمضي أربعين عاماً لا يوجد به كلمة فاحشة ولا كلمة سيئة

هذا الطفل حينما ينشأ في أسرة منضبطة ليس فيها سباب ، ولا شتائم ، ولا مزاح رخيص ، ولا كلام فاحش ، يتعلم من أبيه ، وأنا أقول لكم أيها الأخوة لو لم يوجه الأب ابنه بأية كلمة ، استقامة الأب والأم دعوة إلى الله وقدوة ، لذلك الإنسان يتعلم بالنص :

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾

[سورة الحشر: ٧]



التعلم بالنظر أسرع الطرق فلابد ان يكون المرءى قدوة

هذا النص ، يتعلم بالأسوة :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾

[سورة الأحزاب: ٢١]

فأنت إما أن تتعلم بالنص الذي بين يديك ، أو أن تتعلم بالأسوة .



هناك تعليق : إنسان هنا بالأردن عنده سفر إلى دمشق بعد أن غادر عمان بمسافة قصيرة وجد لوحة كتب عليها : الطريق إلى دمشق غير سالك بسبب تراكم الثلوج في مكان ما ، ماذا يفعل ؟ سيارة ثلاثة طن وله مبلغ في الشام كبير وهو تاجر ، أربع كلمات أعادوه إلى عمان، يستنبط من هذا ما الذي يحكم

العاقل هو الذي يطبق حين يعلم

العاقل ؟ النص ، لو أن دابة تمشي إلى الشام أين تقف ؟ عند الثلج ، ما الذي يحكم البهائم ؟ الواقع، بين أن يحكمك النص والدين نص ، والقرآن نص، والحديث نص ، لأنك عاقل أكرمك الله بهذا الوحي ، والنبي عليه الصلاة والسلام شرح هذا الوحي بالحديث الصحيح ، فالإنسان كلما نما عقله يتعامل مع النص ، مثلاً لا سمح الله ولا قدر إنسان يدخل قرأ موضوعاً عن التدخين مخيفاً ، أنا عضو بجمعية مكافحة التدخين في سوريا ، بعد دراسات طويلة هناك ثلاثة آلاف مادة سامة بالدخان ، فالإنسان العاقل يقرأ هذا الموضوع يمتنع عن التدخين ، ما الذي حكمه ؟ النص ، وهناك أشخاص لا يعدون ولا يحصون يدع التدخين بعد أن يصاب بمرض خبيث في صدره ، فالبطولة ان تصل إلى الشيء قبل أن تصل إليه ، أن تصل إليه بعقلك قبل أن تصل إليه بواقعك .

بطولة الإنسان أن يجتمع الناس حوله لا أن ينفصوا من حوله :

أخواننا الكرام ، ما دام الموضوع عن الكلام الله عز وجل يقول :

﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصِدْقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾

[سورة النساء : ١١٤]

﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ ﴾

[سورة المجادلة : ١٠]

تجد سهرة طويلة غيبية ونميمة وافتخار ، وفيها تاجر يفتخر برحلة قام بها إلى أوروبا، يكون في هذه الجلسة موظف بسيط ، يقول هذه التاجر : لقد أنفقت في هذه الرحلة كذا و كذا أي ما يقابل رواتب هذا الموظف في عام فيتألم ، لذلك البطولة أنك إذا تكلمت عن الله يجتمع الناس حول الله ، أما إذا تحدثت عن نفسك فينفض الناس من حولك ،



بالمناسبة الله عز وجل قال :

﴿ فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ ﴾

[سورة آل عمران : ١٥٩]



هذه الآية يحتاجها كل إنسان قيادي بدءاً من الأب والأم ، والمعلم والمدرس ومدير الدائرة إلى أعلى منصب :

﴿ فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ ﴾

[سورة آل عمران: ١٥٩]

أي يا محمد بسبب رحمة استقرت في قلبك من خلال اتصالك بنا كنت لينا معهم ، فلما كنت لينا معهم التفوا حولك، ولو كنت أنت أنت نبي ورسول وسيد ولد آدم :

﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾

[سورة آل عمران: ١٥٩]

هذه الآية يحتاجها أي أب ، وأي أم ، وأي معلم ، وأي أستاذ جامعي ، ويحتاجها أي رئيس دائرة وارتفع بالمناصب إلى أعلاها :

﴿ فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾

[سورة آل عمران: ١٥٩]

تستقر الرحمة في القلب تتعكس لينا ، هذا اللين يدعو من حولك إلى أن يلتفوا من حولك ، أما البعد عن الله والقطيعة مع الله فمن نتائجها القسوة ، هذه القسوة تجعل الناس ينفضون من حولك .

علة خيرية هذه الأمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

الآن عندنا آية المسلمون يفتخرون بها
وكتبت في مقر الجامعة العربية :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

[سورة آل عمران: ١١٠]

لكن العلماء قالوا : كنتم بمعنى أصبحتم، أي أصبحتم بهذه البعثة خير أمة أخرجت للناس ، ما علة هذه الخيرية ؟



تفقد أمة المسلمين خيريتها عندما تتخلى عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

[سورة آل عمران: ١١٠]

لو أن هذه الأمة لم تأمر بالمعروف ولم تنه عن المنكر فقدت خيريتها فأصبحت أمة كأي أمة خلقها الله ، يغطي هذا المعنى قوله تعالى :

﴿ بَلْ أَنْتُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ خَلَقَ ﴾

[سورة المائدة : ١٨]



لا يوجد أية ميزة لهذه الأمة الإسلامية حينما لا تأمر بالمعروف ولا تنهى عن المنكر ، تفقد خيريتها ، تصبح أمة كأي أمة خلقها الله عز وجل ، ورد في بعض الأحاديث :

((كيف بكم إذا لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر ؟ قالوا : أو كائن ذلك يا رسول الله ؟ قال : وأشد منه سيكون ، قالوا: وما أشد منه ؟ قال: كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ؟ قالوا : أو كائن ذلك يا رسول الله ؟ قال : وأشد منه سيكون ، قالوا: وما أشد منه ؟ قال : كيف بكم إذا أصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً ؟))

[ابن أبي الدنيا وأبو يعلى الموصلي في مسنده عن أبي أمامة]

أخطر شيء يصيب الأمة تبدل القيم ، مثلاً أحد الشعراء في عهد سيدنا عمر هجا إنساناً قال له :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها و اقعدي فإنك أنت الطاعم الكاسي

هذا البيت من الشعر عدّه نقاد الأدب أهجى بيت قالته العرب ، ودخل الشاعر السجن بأمر من سيدنا عمر ، ما قولكم أن هذا البيت شعار كل إنسان ؟ ما دام دخلك و فيراً وبيتك واسعاً لا يوجد عندك مشكلة ، يقول لك : أنا مرتاح ، لم يعد هناك انتماء للأمة ، ولا انتماء للجماعة ، صار هناك انتماء فردي ، قالها نيرون : من بعدي الطوفان ، لذلك :

((كيف بكم إذا لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر ؟ قالوا : أو كائن ذلك يا رسول الله؟ قال : وأشد منه سيكون (...))

[ابن أبي الدنيا وأبو يعلى الموصلي في مسنده عن أبي أمامة]

في النهاية أصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً .

من لم يطبق منهج الله فلن يقطف ثماره :

أخواننا الكرام ، الآن أنا أميل إلى الحقيقة المرة الذين قالوا :

﴿ نَحْنُ أِبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُهُ ﴾

[سورة المائدة : ١٨]

المسلم ماذا يقول ؟ أنا أنتمي لهذا الدين العظيم ، النبي الكريم سيد الأنبياء والمرسلين ، والقرآن كلام الله الذي لم يتبدل ولم يتغير، تكلم ما شئت ، الذين قالوا:

﴿ نَحْنُ أِبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُهُ ﴾

[سورة المائدة : ١٨]

كان الرد الإلهي :

﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ﴾

[سورة المائدة : ١٨]

لو أنه قيل منكم أنكم أحبابه لما عذبكم ، استنبط الإمام الشافعي رحمه الله تعالى أن الله لا يعذب أحبابه ، الذين قالوا :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ ﴾

[سورة المائدة : ١٨]

يقاس عليها إذا قلت : نحن أمة القرآن ، نحن أمة النبي العدنان ، نحن أمة أكرمها الله بوحى السماء ، قل ما شئت ما لم تطبق هذا المنهج لن تقطف شيئاً :

﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾

[سورة المائدة : ١٨]

الآية المكملة لهذه الآية أخواننا الكرام .

تطبيق سنة النبي تقي الإنسان من العذاب :

مرة ثانية : قد تسأل هل أنت جائع ؟



تقول : لا فقط ، لكن لا سمح الله ولا قدر إنسان محترم جداً وله مكانة كبيرة لو سأله إنسان سفيه : هل أنت سارق ؟ يقول : لا ؟ يقول : ما كان لي أن أسرق ، هذا سماه علماء اللغة نفي الشأن ، هناك نفي الحدث و نفي الشأن، أي مستحيل وألف ألف مستحيل أن أكون كذلك ، ومستحيل أن أقبل به، ومستحيل أن أعطيه، ومستحيل ان أسكت عنه ،

حتى أن علماء اللغة عدوا عشرة أفعال تنفي بهذه الصيغة ماذا قال تعالى ؟ قال :

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾

[سورة الأنفال: ٣٣]

طبعاً الآية في حياة النبي واضحة ، لكن بعد انتقال النبي إلى الرفيق الأعلى ماذا تعني ؟

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾

[سورة الأنفال: ٣٣]

أي ما دامت سنتك قائمة في حياتهم ، مستحيل وألف ألف مستحيل أن يعذبوا ، هذه بحبوحة الاستقامة :

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾

[سورة الأنفال: ٣٣]

أنت في بحبوحتين ، بحبوحة تطبيق منهج الله في حياتك ، وبحبوحة الاستغفار ، فلذلك الإنسان حينما يفهم المصيبة فهماً توحيدياً تكون المصيبة نعمة في حقه ، لذلك قالوا : من لم تحدث المصيبة في نفسه موعظة فمصيبته في نفسه أكبر ، هناك كلمات ليس لها معنى ؛ هذه البنت مسكينة حظها قليل ، فقط هذا الجواب ؟ لعل هناك خلافاً بمعاملتها لزوجها ، خطأ في استقامتها ، عندما تقول : حظ ، هذا الحظ بالمفهوم العامي مرفوض كلياً أما بالمفهوم الإسلامي فالحظ هو النصيب ، قال تعالى :

﴿ وَمَا يُقَاها إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُقَاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾

[سورة فصلت: ٣٥]

الذي له حظ من الله كبير بالإقبال عليه ومعرفته يفعل كذا .

لكن قبل أن أختم : مرة وقع تحت يدي
كتاب لمؤلف عمل أدعية ثلاثة ؛
الحقيقة مؤثرة جداً الدعاء الأول : " اللهم
إني أعوذ بك أن يكون أحد أسعد بما
علمتني مني " .



يجب أن تكون أسعد الناس بما علمك الله

أي أنت تشرح حديثاً بعمق ولا تطبقه ،
يأتي إنسان عادي سمع الحديث طبقه
فنجاء ، " اللهم إني أعوذ بك أن يكون أحد
أسعد بما علمتني مني " . يجب أن

تكون أسعد الناس بما علمك الله .

الدعاء الثاني : " اللهم إني أعوذ بك أن أقول قولاً فيه رضاك ، ألتمس به أحداً سواك "

الدعاء الثالث : " اللهم إني أعوذ بك أن أكون عبرة لأحد من خلقك " .

أرجو الله سبحانه وتعالى أن يحفظ لكم جميعاً إيمانكم ، وأهلكم ، وأولادكم ، وصحتكم ، ومالكم ،
واستقرار بلادكم ، وادعوا لأخوتكم في الشام أن يحقق الله دماءهم ، وأن ينصرهم على عدوهم .

والحمد لله رب العالمين